طريق الفيل

بين نقش مريغان والرواية العربية والشعر الجاهلي

منصور بن احمد العسيري

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م



تمهيد

من الملاحظ في الآونة الأخيرة الحديث حول ما أطلقوا عليه "طريق الفيل"، ومحاولة بعض الناشطين على وسائل التواصل التعريف به من خلال زيارة هذا الطريق، وعرض مقاطع فيديو عنه، وتقديم شرح عن حملة أبرهة وكيف سار جيشه على هذا الطريق ووصل مكة، وعن قوة ذلك الجيش الذي بنى هذا الطريق.

وحسب هذه المقاطع والصور التي عرضت في الصحف وعن طريق هيئة التراث والآثار فإن الطريق معبد بالحجر بطريقة جيدة، وعرضه حوالي أربعة أمتار، ويحيط به في الجانبين جدار عريض من الحجر، وهو ما يدل على أهمية هذا الطريق وعراقته، وقد بقي منه وصلات متقطعة في ظهران الجنوب وفي الباحة وفي محافظة تربة وبعض المواقع على امتداد الطريق ما بين ظهران الجنوب والطائف.

وبينما أشارت هيئة التراث والآثار بعد دراستها للموقع بأنه امتداد طريق التجارة القديم، فإن بعض الصحف كتبت عن الطريق وربطت المسمى أيضاً بحملة أبرهة، وأشار الكاتب إلى أن عليه كتابات حبشية ورسم فيل على مسافات متباينة، ولكن الكاتب لم يعرض ولا صورة واحدة للكتابات الحبشية ولا لرسم الفيل ضمن تقريره رغم أنه عرض صورا للطريق، كما ان ويكيبيديا نشرت عنه، واطلقت عليه طريق الفيل، ووجدتها قد نقلت خبر طريق الفيل والرسومات والكتابات الحبشية، ولكنها لم تعرض صورا لشيء من ذلك، ومن الغريب أن ابرهة لم يكتب

باللغة الحبشية في مريغان، ولا في مأرب، فقد كتب في كل تلك المواقع بالمسند اليمني، بينما كتب في جبال الحجاز بالخط الحبشي! وهذا يثير الدهشة.

قبل أشهر أثرت النقاش في أحد قروبات الواتساب الثقافية، بعد ان نقل عنه أحد الباحثين بعض الأخبار، ودار نقاش حول حقيقة ما يطلق عليه درب الفيل، وحول محاولة ربطه بجيش أبرهة من قبل البعض والادعاء بأنه بناه جيش أبرهة لتمر منه الفيلة المتجهة لهدم الكعبة، وعن حماس البعض لعرض مقاطع من الطريق والحديث عن حملة أبرهة الذي بنى الطريق (حسب رأيهم) بينما جيش أبرهة مر مرة واحدة ذاهبا لمكة ولم يعد، في حين أن المنطقة مستطرقة منذ ما قبل حملته بأكثر من ألف عام، إذ كان يمر بها واحد من أشهر وأقدم طرق التجارة في الأزمنة القديمة، وهو ما عرف (بدرب البخور)، فقد كان يمر بهذه المنطقة الطريق الذي يربط جنوب الجزيرة العربية وسواحلها وسواحل الهند بسواحل البحر المتوسط وبلاد الشام والعراق ومصر واليونان والرومان وكافة أوروبا، وقد حاولت الحصول على ما يدل على ذكر قديم لطريق الفيل هذا، أو تحديد قديم له لدى المهتمين، فلعل هنالك ما لم اطلع عليه في هذا الخصوص، فلم أجد حتى الآن.

في الجانب الآخر فقد أثير منذ عقود حديث كثير حول نقش آبار مريغان الواقع بقرب تثليث، حيث ادعى بعض المستشرقين أنه دال على ان حملة الفيل المذكورة في القرآن والروايات العربية

لم تكن متجهة لمكة، فقد كانت متجهة لبلاد فارس[١]، بل وصل الأمر ببعضهم إلى انكار حدوثها بالصيغة الواردة في القرآن[٢].

ومن ثم فقد قررت أن أتقصى أكثر حول الموضوع، وبعد قراءتي لما ورد في هذا الخصوص رأيت أن أكتب ما تكون لدي من رؤية أولية حول رواية حملة ابرهة، وصحة دلالة النقش، ومدى توافقه أو تعارضه مع الروايات العربية التي حملها الإخباريون والرواة العرب، ومع قصة أصحاب الفيل والعلاقة المفترضة بين طريق الفيل ونقش آبار مريغان حسب وجهة نظري.

وبقدر غرابة أن هذه الحملة الواردة في النقش لم تفها كتب الاخبار بالتفاصيل، بل لم تشر إليها، فقد تكون الغرابة الأكبر في أن الشعر الجاهلي حمل إشارات واضحة ـ وإن كانت قليلة ـ إلى هذه الحملة وتوجهها بما يوافق النقش، ويوافق الروايات المبكرة عن حملة أبرهة على مكة، فكيف حدثت هذه الغفلة من قبل الرواة المتأخرين عما حمله الشعر.

من الملاحظ دائما بأن هنالك فارق بين الرواية العربية ما قبل ابن اسحق والكلبي والهمداني وما بعدهم، رغم فضلهم الكبير على التاريخ العربي، وأهمية ما أوردوه من اخبار، واحتواء جزء غير قليل مما أوردوه على درجة جيدة من المصداقية، ومطابقة للواقع المكتشف لاحقاً. ولكن نظرا لميلهم للخيال والأساطير وقوة تأثيرهم على من بعدهم، لذا يفترض أن المصادر

---

[١] الحسني، مصدر سابق، "تقرير د. عبدالمنعم سيد"، ص٤٤

[٢] انظر:

- نولدكة، ثيودور، تاريخ القرآن، هـ ص٨٤
- أدهم، إسماعيل أحمد، عام الفيل وميلاد الرسول، تحقيق تاريخي في ١١-٣-١٩٤٠م، مجلة الرسالة، العدد ٣٤٩

المبكرة للتاريخ العربي أكثر تلقائية وأقل تقليدا، وتحمل اختلافا عما ورد في البقية المتأخرة، ومن ثم فقد حرصت في هذا البحث على تقصي المصادر المبكرة وملاحظة الفارق بينها وبين المتأخرة.

وليس فقط الرواية التقليدية الواردة عند الأخباريين، فالشعر الجاهلي أيضاً يعد من المصادر المبكرة جدا التي نقلت روايات وأخبار ما قبل الإسلام، فعادة ما يحمل أخبار تلك المرحلة بشكل تلقائي يمثل مرحلته، ما لم يكن الشعر ذاته من المنحول لاحقا، بينما الشعر الإسلامي يحمل أخبار الفترات الإسلامية، وقد حرصت على تتبع الشعر الجاهلي فوجدت فيه وفي الشعر الإسلامي الكثير مما أشار لحملة أبرهة ولكن لم تكن كلها على نفس الدرجة من الأهمية، إذ ان الإشارة لحملة ابرهة على الكعبة من الأمور المعلومة، وقد نقلها الكثير من الاخباريين والرواة وأشاروا للصلة، ولكني اهتممت فقط بما يعطينا ومضة حول الرواية الواردة في النقش.

وقد أثبتت صحة هذا المفهوم نماذج من ذلك ظهرت لنا في هذا البحث، إذ وجدنا بعض المصادر القديمة تحمل من الاخبار حول قصة جيش أبرهة ما لم يشر له من جاء بعدها، كما ان الشعر الجاهلي أرسل لنا حول حقيقة ما ورد في النقش ومضات لم تحملها روايات الإخباريين، ما قد يحل لنا الإشكال القائم حول مجهولية أخبار نقش مريغان في الرواية العربية.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام، أولها عن حملة أبرهة في التاريخ العربي، ثم عن بعثة ريكمانز ونقش مريغان، وأخيراً بالبحث عن مدى توافق رواية نقش مريغان مع المصادر العربية، معتمدا الربط بين الأخبار المتفرقة ومحاولة الوصول من خلال التحليل إلى صلة الخبر بالمصدر في كل حالة. وأرجو من الله التوفيق.

حملة أبرهة في التاريخ العربي والاسلامي

قصة أصحاب الفيل، هي تلك القصة التي وردت في القرآن في سورة الفيل: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول}.

هذا كل ما ورد في القرآن الكريم عن قصة أصحاب الفيل، ومن ثم فهذه الحادثة ثابتة لا شك فيها، ولكن لم يرد في القرآن تفاصيل عن هذه الحادثة أكثر مما ذكر.

وقد جاءت الروايات والتفاسير لتعطينا فكرة عن قصتهم، وهي تتضمن في عمومها أن أبرهة الحبشي بعد أن ملك اليمن وأقره النجاشي على ذلك، بنى قليسا في اليمن، ورغب أن يجعل الناس تنصرف إليه عما سواه، فقام أحد بني كنانة بتلويث القليس نكاية بأبرهة، فلما علم أبرهة بمن قام بذلك وعلم بانصراف العرب عن قليسه إلى الكعبة المشرفة بمكة قرر أن يغزو مكة ويهدم الكعبة، فخرج على رأس جيش كبير ومعه الفيل واتجهوا إلى مكة ولما اقتربوا من مكة احتازوا عير قريش، فوافاهم عبدالمطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم، وسألهم رد الإبل وقال لأبرهة لما سأله عن سبب عدم سؤاله التراجع عن هدم البيت: أنا رب الإبل أما البيت فله رب يمنعه"، فرد له إبله. وفي المغمس، عندما تحرك جيش أبرهة قاصدا الكعبة حبس الفيل عن التوجه للكعبة، ثم أرسل الله عليهم طيرا خرج من البحر، يحمل كل منها ثلاثة أحجار صغيرة في منقاره وفي رجليه، فرمت بها الجيش حتى فني أكثرهم وقيل أفناهم جميعا، وقد اختلفت الرواية حول أبرهة فبينما روى الخليل بن أحمد أن "أبْرَهةُ صاحبُ الفيل جاءه حَجَرٌ فَشَرَمَ أنفه، ونجا ليُخبِرُ

قومه، فسُمّيَ الأشْرَم"[3]، فقد قال آخرون أنه عاد لليمن مع بعض جيشه وهو يتساقط حتى مات هناك في اليمن[4]، وقيل بأنه هلك مع من هلك من قومه[5].

وقد سمي ذلك العام بعام الفيل، ووثقت العرب أحداثها بهذه الحادثة واعتبرتها تاريخا لما بعدها، وكان ذلك هو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما ورد في مسند الإمام أحمد والطحاوي في شرح مشكل الآثار بسند حسن عن قيس بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ قال ولدت أنا ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عام الفيل[6].

ولا شك أن رسوخ الحدث حتى أصبح تاريخا عند اهل مكة وما حولها دال على أهميته وأثره على الناس أجمع.

وعلى قدر ما حاجّت قريش رسول الله وكذبت رسالته فإنه لم يذكر ـ كما يشير أحد الباحثين[7] ـ أن أيهم جادل حول هذه الحادثة التي وردت في سورة مكية في القرآن الكريم، وهو ما يعطينا ثقة أكبر بالتوافق على حدوثها.

---

[3] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦/ص٢٦١

[4] ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م، ج١/٧٤

[5] ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص٧٧

[6] العازمي، موسى بن راشد، كتاب اللؤلؤ االمكنون في سيرة النبي المأمون، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع ـ الكويت، ط١ – ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ج١/ص٧٢

[7] سيد، عبد المنعم عبد الحليم، "هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل"، بحث بمجلة جامعة الملك عبدالعزيز ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، المجلد٣ ؛ وانظر: الحسني، محمد بن علي، مصدر سابق، ص٥٧-٥٨

هكذا ورد خبر أبرهة وجيشه وقصة أصحاب الفيل عند الرواة كابن إسحاق[٨]، وابن هشام[٩]، والبغدادي[١٠] والأزرقي[١١]، والطبري الذي جمع الروايات المتفرقة وأوردها بتفاصيلها[١٢]، وابن الأثير[١٣]، وابن كثير[١٤].

بينما انفرد مقاتل (ت ١٥٠هـ) في تفسيره المبكر برواية تقول أن هنالك حملتين وجهها أبرهة إلى مكة، الأولى عادت دون شيء لأن الفيل توقف عن السير باتجاه مكة وأصر على ان يعود من حيث أتى، فضربوه ثم سقوه الخمر واطلقوه فهرول عائدا، ففزعوا من ذلك وعادوا وتخلوا عن هدم الكعبة، ويضيف مقاتل أنه "بعد سنة (أو سنتين)" من هذه الحادثة توجه قوم من مكة إلى النجاشي وأوقدوا نارا للشواء قرب البحر وتركوها فأحرقت الهيكل الذي بناه ابرهة، فغضب

---

[٨] ابن اسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ص٦٣-٦٥

[٩] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ج١/ص٣٧

[١٠] البغدادي، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ط١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٠-٨٠

[١١] الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، ج١/ص١٤٦

[١٢] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط٢ - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٢/ ص ١٢٣-١٤٨

[١٣] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ط١-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١/ ص١٥٣ – ١٥٤، ١٥٧ - ١٦٠

[١٤] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مج٢/ ص٥٨-٦٨

النجاشي، وبعد تحريضه من رؤساء القبائل الذي ساروا إليه في الحبشة من الجزيرة العربية، أمر أبرهة فجمع الجيوش وغزا مكة بجيش كبير في مقدمته الفيل محمود، وهي الغزوة التي نزلت فيها سورة الفيل[١٥]. وهذه الرواية المبكرة على درجة كبيرة من الأهمية كما سيأتي معنا.

ومن الملاحظ شح روايات الاخباريين العرب عن تفاصيل أخرى لأي حروب خاضها جيش أبرهة خارج اليمن سوى هذه، وما ورد عند الأصفهاني في قوله: "وقال أبو عمرو الشيباني كان أبرهة حين طلع نجدا أتاه زهير بن جناب فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على ابني وائل تغلب وبكر فوليهم ...."[١٦] إلى آخر الرواية، فلم يرد عن أخبار أبرهة خارج اليمن غير هذه الحادثة التي ذكرت في القرآن وما اوردنا عن أخبار زهير بن جناب مع بكر وتغلب بعد أن ولاه عليهم أبرهة، بينما أشبع الرواة قصة الحبش في اليمن بالروايات والأساطير عن حروبهم مع اليمن ومع بعضهم.

ونلاحظ اختلاف الروايات حول نهاية حادثة الفيل ومصير ابرهة وبقية جيشه بين الرواة، وهو ما يعطي مجالاً لقبول أي الروايات على صورة من الصور، فلعل أبرهة قد عاد إلى اليمن مع من بقي من جيشه ومات بها، بعد أن قُضي على جيشه ودحر بهلاك اكثرهم تحت حجارة الطير الأبابيل، حتى غدوا كعصف مأكول، فمضمون الآية الكريمة يفيد بأن جيش أبرهة رد

---

١٥ البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ، ج٤/ ص٨٤٧-٨٥٢

١٦ الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، وأ. بكر عباس، دار صادر - بيروت، ط٣ – ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١٩، ص١٦

على عقبة مهزوما، وجعل الله كيدهم في تضليل، بعد أن تصدى جند الله لهم من السماء، ومن ثم فعودة جزء من جيش أبرهة مهزوما بعد هذه الحادثة أمر وارد وهو ما حملته بعض الروايات الإسلامية، كما أوردنا[١٧].

إلا اننا نجد أن الشعر الجاهلي حمل خبرا غريبا لم تحمله روايات الأخباريين، فقد أورد طرفة بن العبد في أبيات له أرسلها إلى أحد بني حنيفة يحذره من نية أبرهة غزو نجد، وذكر خلال ذلك أنه سيغزو الكعبة ونجد ومن ذلك قوله:

"ألا أبلغا قتادة الخير آية *** فإن الحذر لا بد منه - منجّيكا

بنجران ما قضّى الملوك قضاءهم *** فليت غرابا في السماء يناديكا

فريقان آت كعبة الله منهم *** وآخر إن لم تقطع البحر آتيكا[١٨]

كما أن المخبل السعدي أشار إلى حدوث حربا لأبرهة في "حلبان"، حين قال:

صرموا لأبرهة الأمور محلها *** حلبان فانطلقوا مع الأقوال

---

[١٧] حول ذلك انظر:

- الطبري، مصدر سابق، ج٢/ص١٣٦-١٣٧، ١٣٩
- ابن اسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ص٦٣-٦٥
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦/ص٢٦١

[١٨] البغدادي، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ط١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٠-٨٠

ومحرق والحارثان كلاهما *** شركاؤنا في الصهر والأموال[١٩]

ويقول في أخرى:

ويوم الرحى سدنا وجيش محرق *** ضربناه حتى أنكأته شمائله

ويوم أبي يكسوم والناس حضر *** على حلبان إذ تقضى محاصله[٢٠]

فهو يشير إلى حرب جرت لأبرهة الحبشي (أبو يكسوم) في حلبان[٢١].

وعندما نجمع بين ما ورد في قصيدة طرفة والمخبل وما ورد في رواية مقاتل فإننا نجد توافقا، فقد كان لأبرهة ـ حسب تفسير مقاتل ـ حملتين على مكة، وقد أشار طرفة لإحداهما، ولعل الأولى هي التي أشار لها طرفة في شعره و التي ورد بعض خبرها في شعر المخبل أيضا، إذ لم يرد في الحملة الثانية وهي التي ورد خبرها في القرآن وتناولها الرواة بالتفصيل ما يدل على أن أبرهة هاجم نجدا وغزا حلبان خلالها، وإلا لوجدنا أيهم ذكر ذلك، فقد كانت الحملة الأولى على مكة جزءا من حملة أبرهة على نجد والكعبة، إذ يبدو أن جيشه الذي اتجه غربا قد نزل لمكة كما يشير طرفة لهدم الكعبة، ولكنه فزع من انحباس الفيل عن التوجه لمكة، لذا فقد رأى أبرهة وقادة الحملة التراجع عن هدم الكعبة، بعد أن تشاءموا من تصرف الفيل الذي أبي أن يتوجه إلى الكعبة وسار في كل الاتجاهات الأخرى، ولكن أبرهة وجيشه عاودوا شن حملة على الكعبة بعد وقت

---

[١٩] الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢/ص١٣٥

[٢٠] الهمداني، نفس المصدر السابق والصفحة

[٢١] "حلبان" لا زالت تحمل نفس الاسم، وهي تقع شرقي مدينة الطائف بمسافة ٤٧٦كم، وهي جنوب مدينة الدوادمي (على بعد ١١٠كم بالخط المستقيم) و إلى الغرب من مدينة القويعية (على مسافة ١٢٥كم)

لم يحدد له مقاتل فترة دقيقة، فقد ذكر أن الكنانيين أهل النسيء تسببوا في حرق الهيكل بعد الغزوة الأولى بسنة (أو سنتين)، أي أن الفارق غير محدد بدقة، كما أنه أشار لحدوث امور عديدة بعد أن تسببوا في هذا الحريق قبل أن يغزو ابرهة الكعبة، فقد ذهب الى النجاشي عدد من رؤوس القبائل من الجزيرة العربية، وحرضوه واستعدوا له بالمشاركة حتى قرر هدم الكعبة، ولا نعلم كم الفرق بين احتراق الهيكل وبين الغزوة الثانية.

ونحن نخرج من كل ذلك بأن هنالك حملتان حبشيتان بقيادة أبرهة توجهتا إلى مكة لهدم الكعبة، وأن الفترة ما بين الحملة الأولى والثانية لم تحدد بدقة.

هذا هو مختصر ما ورد عن جيش أبرهة وقصة أصحاب الفيل عند الرواة في العموم، بالإضافة للرواية الأخرى التي أوردناها، والتي توافق عليها أحد أهم المصادر الاسلامية المبكرة والشعر الجاهلي توافقا تلقائيا يؤيد موثوقيتها.

بعثة ريكمانز ونقش مريغان

في الخمسينات من القرن العشرين توجهت بعثة استكشافية عرفت باسم بعثة ريكمانز ـ فيلبي ـ لبنز إلى مناطق المملكة وفي منطقة بئر مريغان بالقرب من تثليث كشفت البعثة (عام ١٩٥١م) عن وجود نقش بقرب آبار مريغان بتثليث، وهو نقش كتبه جيش أبرهة أثناء غزوة وجهها على قبائل معد بجهات تربة وحلبان وما إليها، وقد قدمت له قراءة حسب ما اتضح من أحرف وعبارات النص في حينه[٢٢]، ثم خرجت فرقة بحثية من جامعة الملك عبدالعزيز برئاسة د. عبدالمنعم عبدالحليم سيد ومجموعة من طلبته وتمكنت من توفير قراءة مكتملة لحروف النقش وهذا نص النقش حسب قراءة د. عبدالمنعم سيد:

١- بقوة الرحمن ومسيحه الملك أبرهة ملك سبأ مل وذو ريدان وحضرموت.

٢- ويمنات وقبائلهم في الجبال والسواحل[٢٣]، سطر هذا النقش عندما غزا.

٣- قبيلة معد في غزوة الربيع في شهر (ذو الثابة) (ابريل) عندما ثاروا كل (قبائل) بني عامر.

٤- وعين الملك القائد[٢٤] أبي جبر مع قبيلة كندة وقبيلة علي والقائد[٢٥] بشر بن حصن مع

---

[٢٢] الأنصاري، د. عبدالرحمن الطيب، والأسمري، أ. خالد بن فايز بن موسى، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٢

[٢٣] أوردها الأنصاري "ويمنت وقبائلهم في طود وتهامة" ؛ انظر: الأنصاري، د. عبدالرحمن الطيب، والأسمري، أ. خالد بن فايز بن موسى، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع ـ الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٣٢-٣٣

[٢٤] لم يورد الانصاري عبارة "القائد" في النص، ص٣٢

[٢٥] لم يورد الانصاري عبارة "القائد" في النص، ص٣٢

٥- قبيلة سعد وقبيلة مراد وحضروا أمام الجيش، ضد بني عامر وجهت كندة وعلى في

وادي مرخ ومراد وسعد في وادي

٦- على طريق تربن وذبحوا وأسروا وغنموا بوفرة وحارب الملك في حلبن واقترب

٧- كظل معد واخذ أسرى، وبعد ذلك فوضوا قبيلة معد[٢٦] عمروا بن المنذر في

٨- الصلح فضمنهم ابنه عمرو عند أبرهة[٢٧] فعينه حاكما على معد ورجع ابرهة من حل

٩- بن (حلبان) بقوة الرحمن في شهره ذو علان في السنة [٢٨]والستين وس

١٠- وستمائة.

كما كشفت الفرقة عن نقش آخر صغير مرتبط بالنقش السابق، كتبه أحد أفراد حملة أبرهه بجوار النقش الكبير، وهذا هو نصه:

١- الفيل

٢- منسي ذو ذرنح

٣- غزا مع

٤- سيده الملك

٥- ابرهة

[٢٦] لم يورد الانصاري عبارة "قبيلة معد" في النص، ص٣٢

[٢٧] لم يورد الانصاري عبارة "عمرو عند أبرهة" في النص، ص٣٢

[٢٨] أوردها الأنصاري، "في السنة الثانية والستين"، ص٣٢

٦- (قبيلة) معد[٢٩]

يفيد النقش الأساسي بأن أبرهة قد غزا قبائل معد في لتربة وحلبان وما إليها عندما ثار بنو عامر، وانتصر عليهم وتوسط في الصلح عمرو بن المنذر الذي عينته معد، ومن ثم فقد عينه عليهم حاكما وعاد.

بينما النقش الآخر الصغير يقول بأن الفيل الذي اسمه منسي ذو رنح غزا قبيلة معد مع سيده ابرهة.

هذا النقش حمل خبرا جديدا لم يتطرق له الرواة والإخباريون العرب، وقد اعتبر بعض المستشرقين أن هذه الغزوة هي المعنية في رواية قصة الفيل الوارد ذكرها في القرآن الكريم، اعتمادا على رواية الزبير بن بكار حول الفترة ما بين عام الفيل وحرب الفجار والتي قدرها الزبير بأربعين عاماً منفردا بذلك عن البقية.

وقد تناول هذه القصة وهذا النقش وتصدر للرد على المستشرقين عدد من المؤلفين والمعنيين بالتاريخ الإسلامي، وكان ذلك من خلال إثبات ارتباط ولادة النبي صلى الله عليه وسلم في الرويات بحادثة الفيل، وأن تاريخ هذه الحادثة المقدر بعام ٥٥٢م لا يتوافق مطلقا مع عمر النبي صلى الله عليه وسلم في حرب الفجار عندما كان شابا يافعا يناول أعمامه السهام، كما أن النبي

---

[٢٩] سيد، عبد المنعم عبد الحليم، "هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل"، بحث بمجلة جامعة الملك عبدالعزيز ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، المجلد٣ ؛ وانظر: الحسني، محمد بن علي، مصدر سابق، ص٤٦-٤٩

(ص) توفي (عام ٦٣٢م) عن عمر ٦٣ بإجماع الروايات ولم يعمر إلى الثمانين كما تفترض هذه الرواية.

ومن ثم فإن هذه الحادثة سابقة لحادثة الفيل في مكة، كما أن القبائل المشاركة والقادة والمواقع التي مر بها الجيش كلها مختلفة عن تلك المذكورة في كتب الإخباريين العرب على ألسنة الرواة، وحتى الفيل هنا اسمه منسي بينما فيل هدم الكعبة اسمه محمود.

وقد نقل الحسني إشارة د. محمد رجب البيومي إلى أن أحد المستشرقين عثر على نص ذكره المؤرخ اليوناني "بيركوب" عن تعرض الأحباش للبلاد الحجازية بتأثير الروم، وهو ما يقطع النقاش حول صحة حدوث الحادثة واختصاص الغزوة التي قام بها أبرهة بهدم الكعبة وليس لغزو بلاد فارس[٣٠].

---

[٣٠] الحسني، محمد بن علي الحسني، الرد على المستشرقين الذين شككوا في قصة الفيل، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، كتاب الكتروني، ص٦٦-٦٧

هل تتوافق رواية نقش مريغان مع المصادر العربية

أعود لما ذكرته آنفا من ان حملة أبرهة لم يتفق الرواة المسلمون على فنائها بالكامل بل اختلفوا كما اوردنا، فهنالك من ذكر ان أبرهة نجا وعاد ليخبر قومه[٣١]، ومن قال أن نفرا منهم عاد إلى وطنه ومنهم أبرهة ذاته إلى أن مات في اليمن متأثرا بما أصابه من هذه الحادثة[٣٢]، فقد نقل الطبري ذلك عن عدد من الرواة [٣٣]، ومثله فعل كل من ابن الأثير[٣٤] وابن كثير[٣٥]، كما ان رواية ابن اسحق ذكرت أن ابرهة عاد وعاد معه بعض جيشه[٣٦]، وقال ابن هشام والأزرقي عن الاحجار

[٣١] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٦/ص٢٦١

[٣٢] ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م، ج١/٧٤

[٣٣] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ القاهرة، ط٢ ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج٢/ ص ١٢٣-١٤٨

[٣٤] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت، ط١-١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١/ ص١٥٣ – ١٥٤، ١٥٧ - ١٦٠

[٣٥] ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مج٢/ ص٥٨-٦٨

[٣٦] ابن اسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، ص٦٣-٦٥

التي رماها الطير (الأبابيل): " لا تصيب منهم أحدًا إلَّا هلك، - وليس كلهم أصابت"[٣٧]، بينما بعضهم قال أن أبرهة هلك في هذه الحادثة[٣٨].

مبدئيا نقول: لا شك أننا غير معنيين بالارتباط بما لم يرد في القرآن أو ما صح متنا وسندا من الحديث النبوي الشريف من اخبار، أو ما جاء عن خلفاء النبي الأربعة رضي الله عنهم أجمعين. فلا مقدس لدينا في الروايات مما ليس له سند في القرآن الكريم والحديث الصحيح الثابت عن رسول الله.

ولكن هل تتعارض رواية النقش فعلا مع رواية حادثة الفيل الواردة في المصادر العربية؟.

عندما نراجع ما جاء في القرآن وفي الحديث والسنة فإننا لا نجد ما يتعارض مع كون حادثة الفيل ضمن حملة كبرى اتجهت إلى أكثر من اتجاه ومنها مكة، والاختلاف بين الروايات كما أوردنا أعلاه حامل على قبول إمكانية أن تكون الحقيقة مخالفة لها جميعاً، ولكن ليس للقرآن ولا للحديث الصحيح.

والحقيقة أن هنالك شواهد قوية على حدوث هذه الحملة الواردة في النقش، بل وعلى امتدادها إلى مكة في الشعر الجاهلي الذي جاء مطابقا لما ورد في النقش إلى حد بعيد، عدى ما أهمله

---

[٣٧] انظر:

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ج١/ص٣٧
- الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر – بيروت، ج١/ص١٤٦

[٣٨] ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص٧٧

النقش متعمدا ـ على ما جرت به العادة ـ، إذ تجاهل الكاتب مواجهة الجيش لمشكلة ما قرب مكة وعودته خائبا، فلا حاجة لذكر هذه الحادثة التي لم تحقق نصرا ولم تتسبب بخسائر، وأدت لتشاؤم الجيش وعودته، واكتفى الكاتب بالإشارة إلى الانتصارات التي حققها الجيش.

فالحقيقة أنني لم أر نقشا ملكيا يوثق هزيمة ماحقة لجيش الحاكم لا في اليمن ولا سواها، ولا حتى إلى ما يشير إلى قداسة خصمه أو غضب الإله على القائد أو الجيش، أو سوء طالعه، فكل النقوش الملكية توثق فقط الانتصارات، وقد يشار إلى هزيمة صغيرة تبعها انتصار ساحق للقائد، أما عندما يتعرض الجيش لهزيمة ساحقة، أو لموقف يثير الشؤم، فهذا لا يوثقه القائد، بل يوثقه سواه، فتعرُّض الجيش لحادثة غريبة كحادثة احتباس الفيل عن التوجه لكعبة العرب، أو تعرضه للهزيمة تحت حجارة الطير هي مما يشير إلى شؤم الجيش والقائد وغضب الإله عليه، ويكرس قدسية كعبة العرب، وهو ما يفترض أن يتحاشاه النقش، فالنقوش اليمنية دائما ما تستفتح بأن الملك حمد الإله "ال مقة" (أو عثتر) أو ...، وقدم له القرابين لأنه نصره في معركته مع ... واخذ منهم غنائم قدرها ...، وهكذا. فالحاكم هو العابد المحبوب للإله الذي يكافئه دائما بالانتصارات والغنائم.

ولا شك أن أبرهة الحبشي النصراني لم يكن استثناءً من ذلك، وبالتالي فإن النقش كما يظهر قد تجاهل الحادثة غير المؤثرة التي واجهها الجيش في مكة فتراجع دون خسائر، بعد ان حقق كل هذه الانتصارات على عامر ومعد في حلبان وتربة، واكتفى بسرد الانتصارات، فهذه الحملة ليست الحملة المعنية بسورة الفيل وبمعظم الروايات العربية.

وفي المقابل نجد أن خبر هذه الحملة الواردة في رواية النقش جاء مطابقاً في تفاصيله لما ورد في الشعر الجاهلي إلى حد كبير، إذ أورد ابن حبيب (ت٢٤٥هـ) شعرا لطرفة بن العبد في كتابه "المنمق في أخبار قريش" ضمن خبر حملة ابرهة على نجد وعلى كعبة الله حين قال: "وقال الأشرم الخبيث: إذا قضيت قضائي من تهامة سرت حتى أغير على أهل نجد، وصادف ذلك قوله طرفة بن العبد يومئذ بنجران، فلما رأى تلك العدّة وسمع ما يقول الأشرم إنه يغير على نجد قال أبياتا فبعث بها إلى قتادة بن مسلمة الحنفي، وهي هذه: (الطويل)

ألا أبلغا قتادة الخير آية *** فإن الحذر لا بد منه - منجّيكا

بنجران ما قضّى الملوك قضاءهم *** فليت غرابا في السماء يناديكا

فريقان آت كعبة الله منهم *** وآخر إن لم تقطع البحر آتيكا[٣٩]"

ونلاحظ هنا أن ابن حبيب في سرده أتى برواية مخالفة لما ورد في الأبيات التي نقلها لطرفة بن العبد، فقد ذكر أن ابرهة قرر أن يغزو نجدا بعد ان يفرغ من تهامة، ويقصد أنه سيغزو مكة ويهدم الكعبة في تهامة ثم يصعد ليغزو نجد، بينما طرفة يقول ما مضمونه بأن الجيش سيتم تقسيمه إلى فريقين، أحدهما سيتجه غرباً إلى الكعبة، و(الآخر) سيتجه للشرق، حيث يقطن صاحبه الحنفي. ومسمى "كعبة الله" وارد فيما قبل الإسلام، فرغم أن الكعبة كانت تحيط بها الأصنام قبل الإسلام. إلا أن قريشا - حيث كانت الكعبة - تعرف الله قبل الإسلام، وهو معبودهم الأعلى، فقد كانوا يزعمون أن الأصنام التي وضعوها حوالي الكعبة ستقربهم من الله زلفى: {ما

---

[٣٩] البغدادي، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب - بيروت، ط١ - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٧٠-٨٠

نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} (الزمر٣)، هكذا كان ردهم في القرآن الكريم، كما أن اسم عبدالله كان شائعا لدى قريش ولدى العرب، فوالد الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه "عبدالله" وهو ما يدل على أن ارتباط مسمى الكعبة المشرفة باسم الله وارد، فقريش كانت تعرف الله وتعبده وتتقرب إليه، كامتداد لدعوة نبي الله ابرهيم (ع.س) الحنيفية، ولكنها تعبده وتتقرب إليه بوسائط وثنية، كما أننا نجد لفظ الجلالة حاضراً في الشعر الجاهلي، وليس في هذا البيت فقط.

ومن ثم فإن الحملة حسب أبيات طرفة انقسمت فريقين اتجه أحدها للشرق والأخر للغرب، وطابقت إشارته في الأبيات ما ورد في النقش بالضبط، حيث يذكر النقش أن الجيش انقسم إلى فريقين أحدهما عين له القائد أبي جبر مع قبيلة كندة وقبيلة علي واتجه (شرقا) الى مرخ (ذي مرخ) وحلبان، والآخر عين عليه القائد بشر بن حصن مع قبيلة سعد وقبيلة مراد واتجهوا (غربا) الى وادي تربة.

لذا لا يمكننا التشكيك في صحة هذه الأبيات التي خالفت كل الروايات العربية، ولكنها وافقت رواية نقش كتب في نفس مرحلتها وسط فلاة منقطعة، بلغة منقطعة، ولم يعلم به أحد إلا في القرن العشرين.

فأبيات طرفة على درجة عالية من الأهمية لفهم تفاصيل هذه الحادثة، كما أنها تبرز أهمية الشعر الجاهلي ومصداقيته كمصدر للأخبار يعتمد عليه لتصحيح روايات الأخباريين وأساطيرهم.

إضافة إلى ذلك فإن صاحب كتاب الأغاني كرر ما يتوافق مع ذلك في خبر زهير بن جناب عندما قال: "وقال أبو عمرو الشيباني: كان ابرهة حين طلع نجدا أتاه زهير بن جناب، فأكرمه

أبرهة وفضله على من أتاه من العرب، ثم أمَّره على ابني وائل: تغلب وبكر ..."[40] . وهو يقصد أول خروجه من تهامة اليمن إلى نجد، و"نجد" المقصودة هنا في تقدير صاحب الأغاني هي غير بعيد عن بلاد اليمن كما تشير الأحداث اللاحقة في نفس المصدر[41]، حيث نجران وما إليها، وقد كانت الحوادث في موقع يقال له الحبي، ولعل في الإشارة لوجود بكر وتغلب ما يصادق على الخبر الوارد عند ابن حبيب عن رسالة طرفة بن العبد (البكري) من نجران إلى رفيقه الحنفي بجهات نجد.

ومما يزيد من مصداقية أبيات طرفة بدرجة عالية أيضاً الأبيات التي نقلها الهمداني عن المخبل السعدي، والتي يقول فيها:

صرموا لأبرهة الأمور محلها *** حلبان فانطلقوا مع الأقوال

ومحرق والحارثان كلاهما *** شركاؤنا في الصهر والأموال[42]

ويقول في أخرى:

ويوم الرحى سدنا وجيش محرق *** ضربناه حتى أنكأته شمائله

ويوم أبي يكسوم والناس حضر *** على حلبان إذ تقضى محاصله[43]

---

[40] الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، وأ. بكر عباس، دار صادر ـ بيروت، ط٣ – ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١٩، ص١٦

[41] الأصفهاني، نفس المصدر، ج١٩/ص٢٢

[42] الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢/ص١٣٥

[43] الهمداني، نفس المصدر السابق والصفحة

وهنا نجد الشاعر يشير إلى "حلبان" التي ذكرها النقش بالاسم كموقع لحرب دارت، وكان المنتصر فيها هو الجيش الذي يقوده ابرهة (أبو يكسوم)، وهو ما يعطي المزيد من المصداقية حول الحادثة.

وقد شكك د. عبدالمنعم السيد [٤٤] في صحة الأبيات لانفراد الهمداني بها، وهو المتعصب للقحطانية، فأورد احتمالا لفرضية أن يكون الهمداني قد اطلع على النقش خلال رحلاته في الجزيرة العربية، فأورد هذه الأبيات ليرفع عن قومه القحطانيون ـ الذين يتعصب لهم ـ منقصة الوقوف إلى جانب جيش أبرهة المشؤوم الذي جاء لهدم الكعبة المشرفة، فأشرك العدنانيين في الأمر من خلال انتحال هذه الأبيات باسم أحد بني تميم.

والحقيقة أن الاحتمال وارد خاصة أن الهمداني قد نحل الكثير من القصائد وتصرف كثيرا في الشعر، كما يتهمه الكثير، بالإضافة إلى كونه أشار إلى أن حلبان المقصودة في أبيات المخبل هي الواقعة بحضور جنوب شرق صنعاء، والاسم مطابق للاسم الوارد في النقش، وعندما نضع ذلك إلى جوار رأي الهمداني الذي كان يدعي بأن الأحباش لم ينزلوا في اليمن بل نزلوا بسواحل مكة وينفي عنهم غزو اليمن، فإن جيش ابرهة الذي كتب النقش بتثليث، في هذه الحالة، سيكون متجها من الشمال للجنوب حسب موقع حلبان حضور ـ الواقعة جنوب صنعاء ـ، وهذا يوافق رأي الهمداني.

---

[٤٤] الحسني، محمد بن علي الحسني، الرد على المستشرقين الذين شككوا في قصة الفيل، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، كتاب الكتروني، ص٥٣-٥٤

ولكن في الجانب الآخر فإن الهمداني كان يشير إلى ابرهة (القيل) ابن الصباح المعني في الأبيات بصفته ملكا يمنيا[45] وليس من الحبش، بينما النقش ـ الذي يفترض ان الهمداني قرأه وحاول مجاراته بالأبيات ـ يشير إلى أن حملة ابرهة كانت لغزو معد في بلادهم، فأين بلاد معد من حضور والحيمة، ولماذا يخرج الملك اليمني من مأرب إلى تثليث الواقعة بأقصى الشمال غازيا بلادا واقعة جنوب صنعاء؟، فهل جهل الهمداني كل هذه التناقضات في روايته، التي كان الاجدر به ـ لو كان مبتدعها ـ أن يجعل قائدها هو أبرهة الحبشي القادم من الشمال.

وبناء على هذه الاعتبارات نقول بأن هذا الاحتمال يضل احتمالاً ضعيفاً، ويزيد من ضعفه أن هذه الحملة وردت في الشعر العربي لدى غير الهمداني، بما يجعلنا نستبعد هذه الفرضية، فأبيات طرفة التي أوردها ابن حبيب تشير إلى هذه الحملة بنفس تفاصيل النقش، وحول مواقعها كانت بلاد بني تميم التي ينتمي لها السعدي. كما ان حروب قبائل العرب بينها، ونكايتهم ببعضهم إثر هذه الحروب ورد عنها ما هو أكثر من ذلك، وهو ما يجعلنا نرجح مصداقية هذه الأبيات، والله أعلم.

---

[45] الهمداني، الإكليل، ج٢/ص١٢٩، ١٣٤

الخلاصة

مما تقدم نخرج بملاحظات هامة حول حادثة الفيل وحول المصادر العربية أهمها:

١) إن المصادر الإسلامية المبكرة تشير إلى وجود حملتين لأبرهة على مكة، أولاهما كانت هامشية ولم تحدث بها حرب، بل حبس الفيل فتشاءم القوم وعادوا، كما أورد مقاتل. وهو ما يتماشى مع كون هذه الحادثة كانت ضمن الحملة الوارد خبرها في النقش، وفي شعر طرفة والمخبل. ونظرا لهامشية نتائجها، وعودة الجيش ـ الذي حقق انتصارات أخرى عسكرية وسياسية ـ دون ان يخسر شيئا فيها، فقد اهملت في عملية تدوين انتصارات الملك وجيشه، ومن ثم فالنقش يعد داعما لما ورد في القرآن والتفاسير وفي الشعر الجاهلي حول حملة أبرهة الحبشي، لا مناقضا لها.

٢) يتضح لنا مما سبق أن الشعر العربي الجاهلي كان متوافقا ومكملا لبعضه إلى حد كبير في تناوله لهذه الحادثة، ومتفردا بحمل رسالة واضحة تقول بأن هنالك حروباً خاضها جيش أبرهة الحبشي بجهات نجد بحلبان وما اليها، وأن جيشه قد افترق إلى فرقتين، إحداهما اتجهت للغرب لتغزو الكعبة والأخرى اتجهت شرقا، وهو بذلك يتوافق ويتكامل مع النقش الذي كتب بالخط المسند في آبار مريغان، ويواكبهما في ذلك التفسير المبكر لسورة الفيل الوارد عند مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)، ومن ثم فإن هذا التوافق ـ الذي لم تدعمه الرواية العربية ـ واضح المعالم.

ومن هنا يمكننا القول بأن الشعر الجاهلي البدوي الذي ورد على ألسنة قبائل البادية أو الصعاليك، قد يكون أكثر تلقائية وموثوقية من الروايات التي تصدرتها كتب الأنساب والأساطير المتكلفة.

٣) من الممكن لنا أيضاً ان نقول بأن توافق هذه الأبيات مع النقش تؤكد لنا بأن طرفة بن العبد شخصية حقيقية وشعره المطابق للغة ما بعد الإسلام هو شعر جاهلي حقيقي، ومثله شعر المخبل السعدي، فهو شعر حقيقي، ولغته الواضحة هي لغة ما قبل الإسلام، وما لغة ما بعد الإسلام إلا امتداد لهذه اللغة التي نشأت في المحيط البدوي العربي في جزيرة العرب، إلى أن نزل القرآن بها فوثقها وحافظ على ثباتها إلى هذا اليوم.

٤) من الملاحظات الهامة حول نقش مريغان أنه حدد مسار الحملة التي توجهت إلى تربة وإلى حلبان مارة بنجران ومريغان وكان يرافقها فيل (أو فِيَلَة)، والتي اتجه جزء منها إلى الكعبة، ومع ذلك فإنه لم يرد وجود طريق معبد صنعه جيش أبرهة هناك، وذلك من الأمور البديهية إذ لم نجد الجيوش تعبد طرقا وتبني حولها الجدران قبل الحرب، إلا في حالات خاصة جداً، كأن يتحصن العدو بموقع جغرافي حصين لا طريق له إلا ما يصنع.

وإذا كانت الأدلة التي أوردناها دلت على ان حملة ابرهة الأولى على الكعبة مرت بالفيلة المرافقة لها من نجران إلى شرقي تثليث إلى تربة ثم إلى مكة، فإن من البديهي القول بأن حملته الثانية قد اتخذت نفس المسار أو حواليه.

ومن ثم، فإن الطريق الواقع في ظهران الجنوب وامتداده في الباحة وتربة وما بينها لم يبنه جيش أبرهة، بل هو سابق له، وحتى لو افترضنا مروره بهذا الطريق وغزوه للبلاد

الواقعة عليه، فإن تسميته بطريق الفيل لا أساس لها، فالمنطقة ذاتها كان يخترقها طريق التجارة القديم منذ بداية الألفية الأولى قبل الميلاد، وطريق الحج بعد الإسلام، وقد تخالف الأهالي والحكام المجاورون على ترميمه، وتشير المصادر إلى ان ممن اهتم بطريق الحج الحاكم في إمارة بني زياد "حسين بن سلامة"، إذ يذكر عمارة أنه بنى الجوامع وحفر الآبار على الطريق ما بين حضرموت والطائف، وعمر طريق العقبة بين الطائف ومكة[٤٦]، عمارة تمشي في عرضها ثلاثة (أجمال) بأحمالها[٤٧]. فالطريق قديم جدا، وأقدم من حملة أبرهة وجنوده، وهو محل عناية من قبل الأهالي الذين بنوه ليستفيدوا منه محليا ومن القوافل التجارية المارة ببلادهم، ولتيسير وصول الحجاج الذين يمرون ببلادهم.

---

[٤٦] عمارة اليمني، نجم الدين عمارة الحكمي، المستفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مطبعة السعادة ـ ، ط٢ ــ ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٧١-٧٥

[٤٧] عمارة اليمني، نفس المصدر، ص٧٦

رأي شخصي حول هذا الطريق

أرى انه من الملائم في هذه المرحلة إعادة إحياء مسمى الطريق الأصلي (طريق التجارة القديم) أو (طريق البخور)، وتحديد مراكز الأسواق القديمة على هذا الطريق، واحياء الأجزاء الأخرى الرديفة منه، كالذي يمر بقمم جبال السراة، والذي يمر عبر سهول تهامة، والتي تنتهي جميعا ببلاد الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط المتجهة لبلاد أوربا، بالإضافة للشق الآخر من الطريق الذي يمر بموازاة جبال طويق مارا بالفاو وبالفلج وحجر اليمامة وسواها متجها إلى العراق وبلاد فارس، لاستثمارها ثقافيا وسياحيا واقتصاديا على مستوى أكبر، فهذا الطريق يحمل ذاكرة البشرية في القارات الثلاث.

فهنالك ما يحفز على استدراج العالم للحضور والمشاركة في إحياء مهرجانات طرق التجارة القديمة التي كان كل من بلدانهم طرفا فيها بطريقة أو أخرى، وكانت تمر بشكل رئيسي بهذه البلاد، وتكريس مفهوم ومكانة السعودية كمركز عالمي تاريخي لسلاسل الإمداد، لتعزيز التوجه الذي يقوده ولي العهد حفظه الله في (رؤية ٢٠٣٠) بهذا الخصوص.

هذا والله أعلم.

منصور احمد العسيري

الأربعاء ٢-١٢-٢٠٢٢م

المراجع

١- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن عبدالكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت، ط١ـ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

٢- الأزرقي، ابو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي (ت ٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر - بيروت

٣- ابن اسحق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م

٤- الأصفهاني، أبي الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق د. إحسان عباس، ود. إبراهيم السعافين، وأ. بكر عباس، دار صادر ـ بيروت، ط٣ – ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

٥- البغدادي، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد احمد فاروق، عالم الكتب ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٦- البلخي، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ ـ ١٤٢٣ هـ

٧- الحسني، محمد بن علي الحسني، الرد على المستشرقين الذين شككوا في قصة الفيل، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، كتاب الكتروني

٨- ابن حنبل، الإمام احمد، مسند الإمام احمد،

٩- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٠ هـ/١٩٩٠ م

١٠- سيد، عبد المنعم عبد الحليم، "هل يشير نقش أبرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل"، بحث بمجلة جامعة الملك عبدالعزيز - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، المجلد٣

١١- لطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - القاهرة، ط٢ - ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م

١٢- العازمي، موسى بن راشد، كتاب اللؤلؤ االمكنون في سيرة النبي المأمون، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع - الكويت، ط١ – ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

١٣- الأنصاري، د. عبدالرحمن الطيب، والأسمري، أ. خالد بن فايز بن موسى، عسير حصن الجنوب الشامخ، دار القوافل للنشر والتوزيع - الرياض، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

١٤- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة الحكمي، المستفيد في أخبار صنعاء وزبيد، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، مطبعة السعادة - ، ط٢ – ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

١٥- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

١٦- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية، اعتنى به الدكتور عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

١٧- نولدكة، ثيودور، تاريخ القرآن، تعديل فريدريتش شفالي، نقله إلى العربية وحققه جورج تامر، دار نشر حورج ألمز ـ نيويورك، ٢٠٠٤م

١٨- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة

١٩- الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، الإكليل، تحقيق محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

الصحف والمجلات

١- أدهم، إسماعيل أحمد، عام الفيل وميلاد الرسول، تحقيق تاريخي في ١١-٣-١٩٤٠م، مجلة الرسالة، العدد ٣٤٩